

# عائد من الظلام

بِقلم / أحلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليبِ

مؤسسة  
أوارالحق



# عائد من الظلام!

-الحلقة الخامسة والثلاثون-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

# عائد من الظلام!

-الحلقة الخامسة والثلاثون-

#بقلم:

#أحلام\_النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة\_مؤسسة\_أوار\_الحق



أراح "إدوارد" ظهره على كرسيه باسترخاء، وأغمض عينيه بتعب؛ إن الخبير الأسير "جهادًا" متعب فعلاً وغير متعاون، صحيح أن الفتى "عصامًا" خادمه الصغير قد أدلى ببعض المعلومات تحت التعذيب الشرس القاسي؛ إلا أنها لم تكن نافعة أبدًا؛ فـ "جهاد" لم يكن قد أطلعه على الأسرار المهمة رغم ثقته به، وكم كان غيظ "إدوارد" مضاعفًا حين قال "جهاد" ساخرًا:

- نحن أيها الصليبي الغبي؛ لا نعطي المعلومة على قدر الثقة، بل على قدر الحاجة وحسب!!

وفعلاً لم يستطع أن يظفر من "عصام" بشيء، إلا أنه لم يطلق سراحه، بل أوصى بزيادة تعذيبه حتى مات مثخنًا بجراحه!! ومع ذلك لم يَشْتَفِ حقه الصليبي الأسود!!

كان "عصام" قد سقط على الأرض، وكل ذرة في جسده تن ألمًا وتنزف دمًا، وخيالات بعيدة تدور أمام ناظره من ذكرياته؛ كان في أحد الأيام حزينًا وناقمًا:

- لماذا لا تحدثني عما ترسم وتصنع يا سيدي؟! ألا تثق بي؟! ألسنتُ أخاك في الدين برغم أنني خادمك الصغير؟!

ويمسح "جهاد" على رأسه مبتسمًا، ويقول:

- إننا نطأ الحصى ونسير على الشوك يا بني، وربما وقع أحدنا أسيرًا بيد العدو لا قدر الله، فلماذا تكون في جعبته أسرار تفيدهم؟

هتف "عصام" بحماس:

- يستحيل للمؤمن أن يغدر بإخوانه!

قال "جهاد" بحكمة وهو يرسل ببصره بعيداً:

- هذا صحيح، وليس لدي شك في شجاعتك، إلا أنني لا أحمل نفس هذا القدر من الثقة تجاه أساليب الكفار وتفننهم في التعذيب.

ونظر إلى خادمه مجدداً وتابع:

- أحياناً يصبح النطق بكلمة الكفر رخصة جائزة تحت الإكراه الملجئ، مع سلامة الصدر بالإيمان، فكيف بما هو دونها؟! لماذا أعرضك وغيرك لامتحان كهذا؟!

وربّت على كتفه وقال:

- صدقني؛ إن ثقتي بك لا حدود لها، ولكن.. لا لزوم ولا فائدة من معرفتك لكل شيء، وهذا أفضل للجميع حتى لك.

إلا أن "عصاماً" هتف وقتها بحزن طفولي، والدموع في عينيه:

- بل أنت لا تحبني! ولا تعتبرني رجلاً جديراً بثقتك!

وولى خارجاً وهو يدافع عبراته، بينما هز "جهاد" رأسه بتفهم وهو يتمتم:

- يوماً ما ستفهمني يا بني.

وأفاق "عصام" من الذكرى، ورفع بصره باتجاه سيده، وقال بوهن وقد ارتسم شبح ابتسامة على وجهه:

- لقد.. كنت.. حكيماً.. جداً يا.. سيدي، الحمد.. لله.. أني.. لم.. أعرف.. ما.. يريدون.. معرفته  
اليوم!

قال "جهاد" وهو يدافع عبراته:

- اصمد يا بني! لا تتكلم كثيراً فأنت متعب!

تأوه "عصام"، وقال وهو يغيب عن الدنيا:

- إني.. أحتضر، لقد كنت.. أفضل إنسان.. عرفته يا.. أخي الكبير!

هتف "جهاد" من بين دموعه، وقد أدرك أن خادمه يموت فعلاً:

- لا إله.. إلا الله! محمد رسول الله!

ردد "عصام" بوهن:

- لا إله.. إلا الله.. م.. حمد.. رسول الله.

وأغمض عينيه لآخر مرة، متزامناً مع إغماض "جهاد" لعينه على دموع حارقة مريرة، ودخل "إدوارد"

وهو يصفق ساخراً، ثم قال:

- يا له من مشهد مؤثر! أليس كذلك؟! والآن.. لنر إن كان جبل الجليد العنيد سينزل!

وقرب رأسه من "جهاد" وتابع بصوت كالفحيح:

- أم أنك تشتهي اللحاق به؟!

استجمع "جهاد" قواه، ثم بصق في وجه "إدوارد"، وهدر بغضب:

- سيجازيك الله على جرائمك أيها الصليبي الحقير!! أما أنا.. فقد ازددتُ عزماً وعناداً بتوفيق الله تعالى،  
وهذا أقل ما تستحقه مني دماء هذا الفتى البطل!

زجر "إدوارد" بجنون، وهو يمسح البصاق عن وجهه:

- اجلدوه! مزقوا لحمه! اجعلوه يتوسل كي يُقتل!!

وأفاق "إدوارد" من شروده، وزفر وهو يفكر كيف أن استشهاد "عصام" عاد عليه بنتيجة عكسية، وتنهد  
قائلاً:

- أنا لست ساذجاً حتى أحدثتُ أحدًا بصراحة وتفصيل عن الأمر، لكن.. إذا تجاذبتُ أطراف الحديث  
مع "ألفونس" مع بعض التورية فربما أجد عنده ما يساعدني؛ إنه مثقف وكتوم.

على الجانب الآخر؛ كان "مسعود-ألفونس" يجهز العصير وهو يفكر:

- لو أمسك بطرف الخيط وحسب! لو أدلّ إخواني على بداية الطريق وهم يكملون المسير في الكهف  
على ضوء مشعل المعلومات!

وحمل الصينية متجهًا إلى غرفة الخنزير، راسمًا على وجهه ملامح البراءة والعفوية كالعادة.

\*\*\*

اجتمع الأمير بالإخوة العسكريين في خيمته، وراحوا يراجعون خططهم على ضوء خريطة المعسكر التي رسمها الأخ "قنادة-جاكيلنو"، ورغم اندماجه التام معهم إلا أنه كان مشغولاً البال بالضابط "إدوارد"؛ إذ لا يبدو أن الوقت في صالحهم؛ فلا بد أن يعرفوا ما عنده قبل يوم الامتحان الكبير حتى يقتلوه فيه وهو كرت محترق لا فائدة منه ولا سر لديه.

وقال الأمير، وهو يمسح جبينه بمنديله النظيف:

- هكذا نكون قد انتهينا بعون الله تعالى، هل هناك نقطة غامضة أو أمر مبهم؟

قال "عمر":

- لا وجزاك الله خيراً أخي الأمير.

وتتم البقية بالمثل، وهتف "حذيفة" متحمساً:

- لم يبقَ إلا أن يحدد الخنازير موعد هذا اليوم المنتظر.

هز الأمير رأسه موافقاً ولكن بقلق لم يخفَ على الشيخ، وانتهى الاجتماع المثمر وقد عرف كل واحد دوره ودور خليفته، واستأذن الجميع وغادروا، وبقي الأمير وحده في مصلاه يذكر الله تعالى وينتظر خبراً من المثلث بفارغ الصبر، بينما عاود الشيخ الاستئذان فالدخول، وتتم بعد التحية:

- ربما لا أعرف يقيناً ما يشغلك أخي الأمير، إلا أنني أعرف حق المعرفة أن الله عز وجل يذلّ لعباده كل الصعاب؛ فلا تقلق أبداً، وأكثر من الدعاء.



ابتسم الأمير براحة، وقال ممتنًا:

- جزاك الله خيرًا يا فضيلة الشيخ.

ابتسم الشيخ وقال:

- وإياك أخي الأمير.

ثم استأذن للانصراف، واستغرق الأمير في الاستغفار والتأمل، إلى أن رأى خيال المثلث خارج الخيمة، فوقف ينتظر سماع استئذانه بالدخول، وراحا يتجاذبان أطراف الحديث قليلاً، وإذ برقم المثلث في تطبيق المجاهدين المشفر يرون بتنبه يخصص الرسائل العاجلة، فاشتعل كلاهما من الحماس، وأسرع المثلث بفتح الرسالة والتهام سطورها، ثم ما لبث أن انفجرت أساريه فهتف مستبشراً:

- الحمد لله؛ لقد جاءتنا الفرصة أخي الأمير!

نظر إليه الأمير متسائلاً، فأطلعه المثلث على محتوى الرسالة، وشرعا في حبك الخطة المناسبة بسرعة.

\*\*\*

(٩٤)

تناول "إدوارد" كوب العصير من "مسعود-ألفونس"، ونظر إليه ملياً يفكر هل يحدثه أم لا، فاعتدل "مسعود-ألفونس" في وقفته بعد أن كان يمد جذعه وهو يمسك الصينية، وقال بأدب وتهذيب:

- هل يريد سيدي شيئاً آخر؟

تنهد "إدوارد" ثم قال:

- اجلس يا "ألفونس".

- أمرك يا سيدي.

رشف "إدوارد" من الكأس قليلاً، ثم قال:

- أخبرني يا "ألفونس"؛ إن كان أمامك خصم عنيد يأبى إخبارك بما تريده منه؛ فكيف تتصرف معه؟ هل عندك سياسة معينة للتعامل مع الأشخاص العنيدين في حياتك؟

شعر "مسعود-ألفونس" بالإنارة؛ فلا بد أنه الآن يتحسس طريقه ولو في الظلام للوصول إلى طرف الخيط الذي يريد، إلا أن عليه توخّي الحذر مع ضابط خبيث وحريص مثل "إدوارد"؛ ولذلك تعمّد أن يجيب بغباء قائلاً:

- سأسأله مباشرة يا سيدي.

ابتسم "إدوارد" لسذاجة سائقه، وسأله:

- وإذا رفض الإجابة؟

أجاب "مسعود-ألفونس" ببساطة وابتسامة بلهاء:

- عندها سأتحايل الأمر كله حرصاً على وقتي!

فهقه "إدوارد" وقال وهو يضع الكوب فارغاً على الطاولة أمامه:

- إنك ظريف يا "ألفونس"!

واعتدل في جلسته، ثم تابع بجدية:

- لكن إذا كان ما تريد معرفته أمرًا مهمًا، وعناده سور يحول بينك وبينه؛ فكيف تتصرف؟!!

كاد "مسعود-ألفونس" يطلب مثالاً عن هذا الأمر المهم، غير أنه بالغ في الحذر، فحكّ رأسه ببراءة، ثم قال:

- اممم.. بصراحة لا أعرف يا سيدي! ربما عاودت سؤاله لاحقًا، أو طلبتُ معونة بعض الأصدقاء، يعني.. من هذا القبيل.

ابتسم "إدوارد" بخيبة أمل ولم يعلّق، فأحنى "مسعود-ألفونس" رأسه بخجل وقال:

- أخشى أنني لم أكن ذا فائدة يا سيدي!

قال "إدوارد":

- لا بأس، لقد تسليتُ قليلًا بالكلام معك يا بني.

دمدم "مسعود-ألفونس" في سره:

- قاتلك الله من عنيد متحقّظ!!

وتنهّد في صبر؛ إذ كان لدى "إدوارد" موعد مع صديقه الثرثار "بربار"، وكان "مسعود-ألفونس" ينتظر هذه الزيارة بترقّب كي يحاول تنفيذ فكرته التي خطرت له؛ عسى يحقق للأخ المثلّم ما يبتغيه من خطة (تثبيت الثقة)، وكي يعرف سر "إدوارد" الدفين في الوقت ذاته.

\*\*\*

(٩٥)

باتت الأيام التالية لمشكلة التهريب والشرطة: ثقيلة شديدة على "ألبرت"؛ إذ شعر أن "ألفرد" لن يقبل بهدنة السلام التي اقترحها عليه، ولن يتركه وشأنه، بل ما زال يحوم حوله منتظرًا في همّ تصيّد أي خطأ له ليشدّ وثاقه من خلاله! ذلك العجوز الماكر "ألفرد" الذي يتغذى على أخطاء الآخرين، ولا يستطيع السير بـلّة التفوق إلا على أنقاض هفواتهم!

وفكر "ألبرت" ساخرًا كيف كان وضع "ألفرد" سيكون وأي إنجازات كان سيحقق إذا لم يجد لمن حوله أية أخطاء!! واعترف بينه وبين نفسه أنه يشعر بالاشمئزاز لما يتنافى بين الواقع البشع للقساوسة ولا سيما "ألفرد"، وبين الشعارات البراقة الكاذبة التي ملؤوا رؤوسهم بها؛ عن بناء الذات والكفاح الشريف في سبيل استنقاذ الروح!!

وتنهّد بمرارة: هل سيكون عليه أن يواجه كل هذا بخبرته الضحلة ويوغل في غابة مليئة بهؤلاء الأفاعي؟! أم يحاول تكوين فلسفته الخاصة والسير عليها، الأمر الذي سيرفضه الجميع لأنه يهدد فلسفاتهم نظريًا وجرائمهم عمليًا؟!

وهل هو "ألبرت" نفسه نظيف بما يكفي ليشمئز من كل هذا الفساد؟! أقرّ لنفسه أنه ليس بتلك الطيبة التي تؤهله ليكون بطلَ النقاء، إلا أنه لم ينحدر بعد إلى ذلك السوء، ولا شك أن للفساد خطأً معيناً لا ينبغي تجاوزه، ولكن.. عند هذه النقطة بالضبط: لن يستطيع لوم القساوسة إذًا! فلا شك أن لكل منهم رؤيته الخاصة ومقياسه الشخصي لطول هذا الخط الذي لا يُستحسن تجاوزه!! وربما كان ما ينكره هو على غيره عادياً جداً أو حتى ضرورةً أحياناً عند غيره هذا!!

وأخيراً أمسك رأسه بتعب بعد أن صدّعته كل هذه الأفكار المتضاربة، وتنهّد وقد تأكد من شيء واحد على الأقل: أنه سيكون مراوغةً ويتعد عن المواجهة المباشرة، لن يفضي بمكنون نفسه لأحد مجدداً؛ إذ لم تكسبه المواجهة مع "ألفرد" و"مارك" سوى المزيد من الانكماش في قفص أهدافهم، والظهور بمظهر الضعيف الغبي! والآن.. سيكون مراوغةً، سواء معهما، أو مع القس "بونبرت" الذي صار يتودد إليه أكثر من اللازم، ظاناً أنه يستميله لحسابه الخاص!!

وكان "مارك" نشيطاً جداً وسعيداً مُدّ تخلص من "مادو" واستمتع بنجاحات "مونيكاس"؛ مما حدا بـ "ألفرد" أن يثير ملفات "مارك" القديمة؛ كي ينتقص منه ويعيق نجاحه!

\*\*\*

(٩٦)

فتح "مسعود-ألفونس" الباب بهدوء، وردد عبارات الترحيب والمجاملة لشخص بوزن الضابط "بربار"، الذي كان ضخماً خشن الملامح، وكان واضحاً على وجهه البدين علامات الخمر الذي يشربه بدل الماء من شدة إدمانه عليه، وأنهى "ألفونس" ترديد كل العبارات الترحيبية المطلوبة، ثم نظر إلى "بربار" بنجل وتردد، فانتبه إليه وهز رأسه مشجّعاً له على الحديث؛ فدنا "ألفونس" من الضابط، وتلفت يمنة ويسرة، ثم قال له بصوت خفيض:

- من فضلك يا سيدي أن تحاول الترفيه عن سيدي "إدوارد"؛ إنه مكتئب ومشغول البال، ولم يخرج في نزهة منذ فترة، ولم يرفه عن نفسه بأي شكل، وإني.. حسن.. إني في قلق عليه من حاله هذه!

قهقهه "بربار"، وخط كتف "ألفونس" بفضاضة، وقال بأسلوبه السوقي، وهو شديد الاستغراب من بلاهة "ألفونس":

- ها ها ها! هكذا إذا أيها السائق الحنون؟! لا تقلق سأتكفل بالأمر!

فابتسم "ألفونس"، بينما تنهد "بربار" قائلاً:

- ايه! ليتني أجد من يهتم بي ويمزاجي هكذا!

وتنهد ثانية، وقال في نفسه:

- لقد ظننتُ أن لدى هذا الغبي شيئاً مهماً عن سيده! وإذا به قلق عليه لتبدل مزاجه! آه يا "ألفونس"! لو أنك أذكى قليلاً لعرضتُ عليك أن تكون جاسوسي على "إدوارد"! ولكن شخصاً بوفائك وغبائك سيخبر سيده عن هذا العرض فوراً!!

وتأفف بسخط، ثم دخل إلى حيث "إدوارد"، وألقى عليه التحية بأسلوب سمج حاول أن يبدو فيه ظريفاً، فردَّ عليه "إدوارد" بفتور، ولم يهتم "بربار" بهذا، بل جلس بأريحية، ووضع ساقاً فوق أخرى، ثم صاح هاتفاً:

- هات مشروي المفضل يا "ألفونس"!

وبعدها التفت إلى "إدوارد"، وسأله بصوت صاحب ولهجة ذات معنى:

- هيه! ما أخبرك مع مهمتك الصغيرة؟! أما زلتَ فاشلاً في استخراج كنز المعلومات من البئر العنيد؟!

التقطت أذنا "الفونس" هذه العبارات من الغرفة المجاورة الصغيرة، فأسرع في تحضير الضيافة، بينما زوى "إدوارد" حاجبيه ممتعضاً من أسلوب "بربار" ومعتزضاً عليه، ومع ذلك احتفظ ببروده، وقال وقد شبك يديه تحت ذقنه:

- أرى ألا تشغل بالك بما لا يخصك أيها الزميل العزيز!

وتابع وهو يفرد يديه على المكتب متحفّزاً:

- أي كما أصنع تمامًا حين لا أحشر أنفي في عملك!

امتعض "بربار" الذي كان توّاقاً إلى الاستيلاء على مركز "إدوارد" ومهماته، إلا أنه أخفى ذلك، وقال بودّ محاولة الوصول إلى هدفه:

- ماذا إذا تركتني أذهب معك وأحاول؟ ربما وجدتني مفيداً لك في هذا الصدد!

قال "إدوارد" بنفس البرود، ونظراته تحملان عناداً ثابتاً لا يريم:

- لا! ولا تطلب هذا مجددًا!

لم يستسلم "بربار"، بل قال برجاء:

- أرجوك يا "إدوارد"! لماذا ترفض؟ إنني سأكون معك!

وتابع مازحاً:

- دعني أكن مرافقاً لك، ذلك أفضل من أن أذهب بديلاً عنك! ها ها ها.

وجد "إدوارد" نفسه يبتسم رغماً عنه بسبب ضحكات هذا المهرج السخيف أمامه، ومع ذلك قال:  
- قلت لك: لا! وأنا لا أحب تكرار كلامي كثيراً؛ لأنني ببساطة شديدة: لستُ ببعاء لو لاحظتَ هذا  
يا عزيزي اللّحوح!

وأمام نظرات "بربار" المنصدمة الناقمة أردف "إدوارد" بحسم:

- انس الأمر!

اغتاظ "بربار" كثيراً، وهمّ بالرد، إلا أن قدوم "ألفونس" بالمشروب ساهم في تلطيف الجو بعض الشيء،  
وتلقى "بربار" نظرة عطف بريئة من "ألفونس" لتذكيره بوعده؛ مما جعل "بربار" يفكر في إمكانية فكّ  
عقدة لسان "إدوارد" وتخلخل تحفّظه خلال نزهة ما بمضيانها كأصدقاء وندماء سهر! ولذلك حرّف  
مسار الحديث كله إلى المرح، حتى أقنع "إدوارد" بأن شيئاً من الترفيه لن يضّرّ أحداً، ووافق "إدوارد" الذي  
كان يشعر بإرهاق شديد وضغط أشد، وطلب من "ألفونس" ومدير مكتبه مرافقته في سهرته.

وابتسم "ألفونس" بطيبة، ووجد من وقته دقيقةً أرسل فيها إلى المثلث بالخبر!

\*\*\*

يتبع



